فلســـفة الأسماء

للأستاذ السيد شحاتة

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

القديم والحديث من الأسماء

الأسماء عنصر تاريخى مهم إذ نعتمد عليها كثيراً فى الاستدلال على مختلف التقلبات السياسية والاجتماعية ، وترشدنا إلى مقدار النفوذ والسلطة لطائفة أو فرد فى أيام معينة، كما أن منها ما يتناساه الناس حيناً من الدهر خوفاً من بطش الجبابرة . وقد قالوا إن الناس كانوا يتحاشون تسمية أبنائهم بأسماء علوية خوفاً من بطش الأمويين

هـذا إلى أن الأسماء تبين أوضح بيان ولع المغلوب بالتشبه بالغالب ومحاكاته ، فمصر فى أيامها الحديثة غلبت عليها أسماء تركية أيام أن كانت تابعة للعثمانيين ، وسار بعض الناس فى تيار الأسماء الأجنبية بعد الاحتلال . كما أننا نجد الأسماء الفارسية واليونانية تشيع أيام العباسيين مما يدل على نشاط هذه العناصر وقوتها فى تدعيم أركان الدولة

وقد ينتاب الناس نوع من الاندفاع فيأخذون باسم مخصوص فتكثر التسمية به ويزيد الاقبال عليـه . وقد لاحظت ذلك فى مواطن معينة من القطر المصرى فوجدت اسما مخصوصاً يشيع فى الفيوم وآخر يفشو فى طنطا وثالثاً يذيع فى المنصورة وهكذا .. وليس لذلك من سبب إلا وجود كبير أو ولى يشتهر فى كل إقليم

وإننا لندرك عنـد البحث أن هناك أسماء بادت وانقرضت فلا يسمى الناس بها الآن إلا نادراً (أم الخير. ست أبوها. زنوبة. زهرة . حنونة . مصطفية . مريم — عمر . سالم . جرجس . حنا عثمان) وكثير من الناس اعتادوا فى العصر الحديث أن يسموا أبناءهم بأسماء مستحدثة ينظر فيها إلى التجديد والابتكار والرشاقة اللفظية (نبيل . سمير . كيليا . سوسن . آمال . سهير)

كما أن هناك أسماء أخرى يميل أصحابها إلى الشذوذ والغرابة لاعتقادهم أن التسمية تحفظ صاحبها من العين والحسد، أو أنها تطيل العمر فتجد من يسمى (دحيكة . حلوتهم . حلوس . الفص . قطش : بمزق . بندق . مليم . أبوقرشين) وهناك أسماء تدل دلالة صريحة على الوطن، فعندنا فى الصعيد مثلا أسماء مخصوصة قل أن تجدها فى الوجه البحرى (أبوعميرة، وأبو ستيت) ومن الأسماء ما يدل على الجنس كالأسماء الأرمنية فكلها تقريباً تنتهي : (يان) (ملكونيان ماتوسيان بابازيان صاروخان يعقوبيان)

الألقاب

لم تعرف اللغة العربية تفخيما فى الأسماء قبل عهد العباسيين، وإنما نشأ عن اختلاط الفرس بالعرب إبان الدولة العباسية أن تأثر العرب بالمغالاة فى التعظيم والتفخيم ، فكانت أسماء الملوك لا ينطق بها أصلا وإنما يطلقون ألقاباً للتعظيم اشتهرت حتى أصبحت أعلاماً (الرشيد — الهادى — الأمين — المأمون)

وفى أزمنة الغلو الدينى والتشيع المذهبي يقترن لفظ الجلالة بأسماء الخلفاء والأمراء (الحاكم بأمر الله والمعتز بالله والواثق بالله) وقد يتجرد الاسم عن لفظ الجلالة (المعتمد — المعتصم — المعتضد) مما دعا ابن شرف القيروانى إلى أن يقول :

مما يزهدنى فى أرض أندلس أسماء معتمد فيهـا ومعتضد
ألقاب مملكة فى غير موضعها كالهر يحكى انتفاخاً صولة الأسد

وفى تركيا درج الأتراك منذ الزمن القديم على طريق ذكر الاسم مجرداً عن اللقب، إلا أنه فى العهد الأخير قرروا أن يتخذوا ألقاباً تدل على أسماء تركية يظهر فيها معنى تاريخى أو قومى . فقد تسمى رئيس الجمهورية (أتاترك) ومعناها (أبو الترك)، كما لقب رئيس وزرائهم عصمت باشا بلقب (أون أوين) وهو اسم لبلدة ريفية كانت فيهـا الموقعة التى انتصر فيها الترك على اليونان فى حرب الأناضول

وما تزال الأسر العريقة تشفع اسمهـا بألقاب مأخوذة من أسماء المقاطعات التى ينتمون إليها (دوق برابانت) — (برنس أوف ويلس) — (دوق يورك). وإن إطلاق اسم أمير الصعيد على صاحب السمو الملكى ولى العهد المحبوب لمن هـذا القبيل . ولدينا فى مصر بعض من الطرق الطريفة يلجأ إليها الناس فى التسمية والتلقيب، فمن ذلك بعض الأسماء التى تطلقها بعض الجرائد والمجلات على كثير من الناس والهيئات فإذا بتلك الأسماء أشهر

من الاسم الحقيق . وفى كثير من الحوادث والمناسبات يشتهر إنسان باسم خاص فيصبح لقباً لأسرته من بعده لايحيد الناس عنه

كما أن ببلادنا نوعاً غريباً من التلقيب وهو دلالة الكنى على أسماء معينة : مصطفى (أبو درش) يوسف (أبو حجاج) حسن (أبو على) إسماعيل (أبو السباع) على (أبو علوة) ابراهيم (أبو خليل) محمد وأحمد ومحمود (أبو حميد) كل اسم مصدر بعبد (أبو عبدة) سليمان (أبو داود)

وقد جرت مصر على عادة الألقاب ففيها ، كلتا (أفندى) و (شيخ) وهما تمنحان بلا حساب ولا رقيب، ولقب حاج ويقابله عند المسيحيين القدس ، ولا يلقب بهما إلا من تمتع بالوصول إلى الأماكن المقدسة . وأما بك وباشا فهما من حق صاحب الجلالة مولانا الملك ينعم بهما على من يشاء . ومن الألقاب التى تملكها كل سيدة لقب (هانم) إلا أن العرف والعادة خصت الفتاة قبل الزواج بالآنسة وأطلقت عليها بعد الزواج لقب (السيدة) وقد سار التونسيون على عادة ذكر الزوج بعد اسم زوجته بدل أبيها . ولقد حاكاهم أخيراً كثير من المصريين وشاعت هذه الطريقة الآن . ومن أشهر من سمي بها (صفية زغلول . هدى شعراوى) وكثيرات غيرهما

وقد درج الناس على أن ينعموا بأحد اللقبين الشعبيين (أفندى وشيخ) على من يشاؤون ، يسمون من كان مطربشاً بالأول ومن كان معمماً بالثانى ، وفى ذلك من الحيد عن وجه الصواب ما فيه . أما الشيخ فهي كلمة عربية ومعناها (من تجاوز سن الشباب) أو (من توفرت له حكمة الشيوخ وفضلهم ولو كان شاباً) أما الأفندى فهى كلمة تركية كانت تطلق على ولى العهد فى تركيا زمن الخلافة ، ثم نقلت إلى مصر وشاعت فيها . وانجلترا تسير على نظام الألقاب (مستروسيرولورد) أما فرنسا فقد ألغيت فيها الألقاب ولم يبق للعظيم والحقير إلا كلمة(مسيو)، وكذلك فعلت تركيا فى عهدها الأخير . وفى سوريا قررت الكتلة الوطنية هناك إلغاء جميع الألقاب من باشا وبك وأفندى وصاحب الدولة والفخامة والعزة والاستعاضة عن كل ذلك بلقب (السيد)؛ وقد قابلت الطبقات السورية كلها هذه الخطة بالمدح والاستحسان . أما فى مصر فقد صدر قانون منذ خمس سنوات يحرم ألا يلقب بلقب إلا من أحرزه، فقلل بذلك الألقاب الزائفة إلا أن الأمر مع الأسف اقتصر على المكاتبات الرسمية والصحف. أما فى غير ذلك فلا زال الناس يكيلون بغير حساب . وحسناً تفعل الحكومة المصرية لو ألغت جميع الالقاب فيصبح الناس متساوين ولا فضل لأحد على أحد إلا بعمله ونبوغه وقدرته

غرائب التسمية

للأسماء غرائب مدهشات نذكر بعضاً منها :

جرت العادة أن يعرف الانسان باسمه واسم أبيه وأسرته، إلا أننا فى كثير من الأحيان نجد الاسم يطغى على اسم الأب والأسرة فكثير من الناس قد يعرفون الملك أو العظيم باسمه فقط على أنهم يجهلون اسم أبيه

ومن عجائب الأسماء ماشاع اليوم من إطلاق اسمين على مسمى واحد، يظهر ذلك فى الذكور والإناث (محمد طلعت — محمود شكرى — زينب كيلة — فاطمة ثريا — ثروت هانم) . وفى مصر من أعجب الأسماء أننا نسمع عن اسمين أحدهما أخ للآخر ، ولكنا لا نلمح أى اتفاق فى اللقب حتى يكادان أن يكونا متباعدين (إسماعيل صدقى أخوه محمد نجيب شكرى . عبد الخالق ثروت أخوه مصطفى رياض . أمين أنيس باشا أخوه محمد بك رياض) وتلك طريقة غريبة تضيع معها ألقاب الأسرات بمرور الزمن . ومن أغرب ما سمعت أن المدارس المصرية فى عهد المغفور لها محمد على وإسماعيل كانت تطلق أسماء جديدة على تلاميذها يعرفون بها فى المدرسة ويشتهرون بها فى الحياة العامة

وفى الصين نجد معظم السكان لا تتعدى أسماؤهم أربعة (شانج — وانج)

وكل مسمى فى الغالب له حظ من اسمه فالذى اسمه (ماهر ، ذكى ، سعيد) ينال فى الغالب شيئاً من دلالة اسمه . و (فؤاد ، فاروق ، فايزة ، فوزية ، فوقية ، فايقة ، فتحية) أسماء بدأت بالفاء : فكل من يسمى بواحد منها يتفاءل أولا لأنها أسماء ملوك وأمراء ، وثانياً لأن فيها معنى الفوز والفتح والفضل

والذين ينجمون ويتعرفون حظ الانسان ويكشفون له عن مستقبله كل عمادهم على الأسماء : فهم يرون فى حروف كل اسم ما يدل على حظ صاحبه وما قدر له فى عالم الغيب ، ولهم فى ذلك طرق كثيرة : منها أنهم يقسمون الحروف طوائف وكل طائفة منها تدل على معان خاصة يتصف بها صاحب الاسم الذى تغلب

فيه هذه الحروف . ومنها أيضاً أنهم يجمعون الأعداد الدالة على الحروف وهو مايعرف عندهم (حساب الجمل) فيجمعون اسم الشخص واسم أمه ثم يسقطونها سبعة سبعة ، والباقي يدل على حظ صاحبه

الأسماء واللغة

اصطلح علماء العربية على تقسيم الأسماء الأعلام إلى ثلاثة : كنية وهي المصدرة بأب أو أم (أبو طالب ، أبو الفضل ـ أم كلثوم أم الخير) ولقب وهو ما أفهم مدحاً أو ذماً (الرشيد ، الفاضل، الجاحظ، السفاح) والثالث اسم وهو ما سمي به الانسان (أحمد، علي ، فرج ، سليم)

ولو تتبعنا معظم الأسماء لوجدناها تقريباً (من المشتقات) فمنها أسماء فاعلين (حامد ، قاسم ، راغب ، ماهر ، عادل) ومنها أسماء مفعولين (محمود، منصور، معروف، مبروك ، مسعود) ومنها صفات مشبهة : (سعيد ، بخيت ، خير ، كريم ، ذكي ، نبيل) إلا أنه على الرغم من كونها مشتقة فاننا نعتبرها من القسم الآخر وهي أنها جامدة

كما أن هناك كثيراً من الأسماء يختلط فيها المذكر بالمؤنث (عطية، إحسان، ثروت، آمال، رجاء، سوفي) واللغة العربية تنزل المذكر المسمى باسم من هذا النوع منزلة المؤنث فتمنعه من الصرف

اقتراح

وأخيراً لقد تقدم عالم أمريكي وقال إن الأسماء قد كثرت كثرة عظيمة ، وصارت من أسباب الفوارق بين الشعوب بل بين أبناء الأمة الواحدة لدوافع دينية، فهو لذلك يقترح الاستغناء عن الأسماء بتاتاً وتسمية الناس بأرقام فيقال مثلا (٤٣ ابن ٣٥) وهكذا . ولذلك سوابق ، فالمسجونون والعساكر وعمال الترام يعرفون في معظم الأحوال بأرقامهم

والانجليز يشيع بينهم اسما (جون) و (إثميث) حتى ليبلغ عدد من يسمون بهذين الاسمين في انجلترا مليوناً من السكان

وفي مصر نجد الأغلبية العظمى يشيع بينها (محمد ، محمود ، أحمد ، علي)

وللألقاب كذلك غرابة : فبعضها يدل على معان غريبة ، ربما كانت ثقيلة ، ولكنها اشتهرت فأصبحت سهلة ذائعة مقبولة (البلط ، الجحش، أبو شوشة، البرش. أبو شناف، عجور، شبايك)

الأسماء والفأل

جرت العادة أن يطلق الاسم على الطفل فتسجله القابلة في سجل أعد لذلك بمكاتب الصحة ، ومتى عرف الابن أو البنت بهذا الاسم فلا يجوز تغييره إلا بشروط خاصة ، أن يتقدم الطالب إلى بعض الجهات القضائية ويدفع رسما خاصاً ، ويأتي بشهود ويسجل اسمه الجديد ، والغرض من هذا التشديد في التغيير تضييق السبل أمام من يريد الفرار من حكم القضاء أو من دين عليه . وكثير من الناس يتقدمون لتغيير أسمائهم إما لأنها مكروهة في نطقها أو لاشتهارهم بغيرها بين الناس

وهناك كثير من الناس لهم أسماء رسمية وأخرى عرفية : فالأسماء التي سجلت في سجل الميلاد هي الرسمية ، وقد يعرفون بغيرها عرفاً واصطلاحاً بين مواطنيهم ولكن الأحكام القضائية والشهادات الدراسية تصدر بالاسم الرسمي

الأسماء والخط

التفاؤل بالأسماء والتشاؤم بها قديم جداً ، فقد كان قدماء المصريين يتفاءلون بأسماء آلهتهم فيسمون بها أو ينسبون إليها (خفرع ، آمون ، حتب ، توت عنخ آمون) وكان العرب يسمون أولادهم بأسماء يتشاءمون منها (تأبط شرا ، أبو اللغول، أبو لهب ، أبو جبل) وفي نفس الوقت يسمون عبيدهم بأسماء يتفاءل بها (الفضل ، جوهر ، فرج ، سالم ، سرور) وقد سئل بعضهم في ذلك فأجاب : (إنما سمينا عبيدنا لنا، أما أبناؤنا فسميناهم لأعدائنا)

ومما يؤثر : أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم حينما بشروه بولادة النبي قال سموه (محمداً) فاني لأرجو أن يحمد في الأرض وفي السماء ، والمسلمون يتفاءلون دائما بهذا الاسم المبارك الكريم

ولكن الاسم فيه معنى من معاني التكريم للانسان والسمو إلى منزلة يتفرد بها ويمتاز عن غيره من المخلوقات ، فلو أخذنا بنظام الأرقام كان ابن آدم سلعة من المتاع ولكن من يدري :

فالليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

السيد شحاته
المدرس بالجامعة الأمريكية